

الدرس السابع: العلوم المساعدة في البحث التاريخي.

يهدف التاريخ باعتباره علما إلى التعرف على الأحداث وإيجاد تفسيرات لها في مجالات معرفية متنوعة تبعا لأوجه النشاط الإنساني المختلفة، لذلك فهو اختصاص له أدواته، قواعده ومنهجه، وباعتبار انفراده بسعة الموضوعات العلمية فيجب على المؤرخ أن يلتزم بالبحث في هذه المعارف ومعرفة أبعادياتها، وهي مجموعة العلوم والمعارف والأساليب والمهارات والطرق المساعدة للمؤرخ على جمع مادته وفهمها، تمحيصها ونقدها، لذلك على المؤرخ أن يتسلح بمعارف متنوعة تسعفه في معرفة تشابك العلاقة بين التاريخ والعلوم المساعدة التي لها صلة به، من حيث المناهج والمصطلحات وطرق التحليل التي تتميز بها هذه العلوم، وهذا لا يتأتى للمؤرخ إلا باكتساب ثقافة عامة في حقول المعرفة البشرية التي لها صلة بالتاريخ.

اختلف مؤلفو كتب المناهج في تقسيم العلوم التي لها صلة بالتاريخ فمنهم من قسمها إلى علوم مساعدة لفهم التاريخ، علوم مفسرة للتاريخ وعلوم رافده للتاريخ، وهناك من جعلها قسمين: رافده للتاريخ (مصادر التاريخ)، ومفسرة للتاريخ.

أولا. العلوم الرافدة للتاريخ: وهي المعارف التي تدخل مادتها في صلب التأريخ (مصادر)، وتؤلف نتائجها أدوات أساسية ومعارف إضافية للباحث المؤرخ وأهمها:

- **علم الآثار (Archéologie):** باعتباره يبحث في مخلفات الماضي الإنساني وبقاياه المادية ويهتم باستخراجها ودراستها بالأساليب العلمية والتقنيات الفنية، ونتائجها تشكل أدلة تاريخية عن أحوال الماضي، فعلم الآثار يقدم للمؤرخ مصدرا أساسيا لاكتشاف طبيعة الحياة الإنسانية من خلال آثارها كالعمارة والزخارف، الأدوات والآلات...، فهي الشاهد على الماضي ويكمن دورها تصحيح الرواية الشفوية والشاهد الكتابي أو تثبيته.
- **علم قراءة المخطوط (Paléographie):** أو علم قراءة الخطوط القديمة، أو علم تطور الخط، وهو علم يعرفنا بأنواع الخطوط وتطورها والمواد المستعملة في كتابتها، ويهتم بالسجلات الأثرية المكتوبة على المواد القابلة للفناء كالبردي، المخطوطات العربية بخطوطها المختلفة (النسخي، الرقعة، الكوفي، المغربي، الغباري، الديواني...)

فمن خلال هذه الخطوط ورسمها الجمالي ودقتها يستطيع المؤرخ إبراز الدوق الشخصي الذي يميزها وهو ما يعبر عن المستوى الاقتصادي والاجتماعي والفني الذي بلغته هذه المجتمعات.

- **علم النقوش أو الكتابات القديمة (Epigraphie):** يهتم بفك رموز الخطوط القديمة وكل ما هو مكتوب أو مرسوم أو منقوش على اللوحات الحجرية والمعدنية التي تركها القدماء من نصوص، قوانين، مراسيم، عقود، تذكارات المباني، شواهد القبور... (تاريخ بلاد الرافدين المسمارية، الحضارة المصرية عندما تمكن شامبليون من فك رموزها سنة 1822م، النقوش الاغريقية والرومانية، البونية...)

- **علم الوثائق (Diplomatiques):** الوثائق عموما هي كل الأصول التي تحتوي على معلومات تاريخية أوراقا وآثارا،...، فالوثيقة قد تكون هي الآثار التي خلفها السلف، وقد تكون صك فني يحوي معلومات تصدرها هيئة رسمية، وهي التي أصطلح عليها الباحثون في التاريخ بكونها: الكتابات الرسمية أو شبه الرسمية مثل الأوامر، القرارات، المعاهدات، الاتفاقيات، المراسلات، الكتابات التي تتناول الاقتصاد، التجارة، المجتمع، المشروعات، المقترحات التي تصدر عن المسؤولين في الدولة، وقد تكون مذكرات شخصية، ومن هذا المنطلق فالوثائق هي كل ما يصدر عن هيئة رسمية أو شخصية معينة لها هدف آني، لا يهدف للتاريخ وتكون لاحقا مصدرا للتاريخ.

وللوثيقة قيمة تاريخية كبيرة كونها تكتب بعفوية ولا تتأثر بالسياقات التاريخية المتغيرة، ولا تحمل خطابا إيديولوجيا، فهي بذلك أصيلة، وغير خاضعة لطغيان عنصر الزمن، من هذا المنطلق يجب على المؤرخ في التعامل مع الوثيقة أن يتعلم لغتها ومصطلحاتها، وما تحويه هذه الوثيقة من خبر، خط، تاريخا، عصرها، صاحبها، ختمها،...

- **علم النقود والمسكوكات أو النميات (Numismatiquics):** يستهدف الاستفادة من المعلومات التي تقدمها الرموز والكتابات وصور الملوك، وتاريخ صك هذه العملات، ونوعية المعادن، هذا ما يقدم للمؤرخ معلومات تاريخية قيمة.

- علم الأختام (Siligraphie) والرنوك (Héraldique): التي تتميز بها الوثائق والمكاتب الرسمية، والعلامات المميزة التي تتوارثها الأسر والجماعات والأفراد، ...
- علم الإنسان أو الأنثروبولوجيا (Anthropologie): يهتم بثقافة الإنسان البدائي والتطور البيولوجي الذي تميز به، والسلالات البشرية وتوزعها وثقافتها الشفهية ومعارفها العلمية، ونمط حياتها، ما يسمح للمؤرخ بتتبع انتشار الجماعات البشرية وتطورها.
- إضافة إلى هذه العلوم نجد أيضا: علم السلالات والأجناس البشرية أو الإثنوغرافيا (Ethnographie)، التي تهتم بدراسة المجتمع وعاداته وتقاليده، علم السير (Biographie) والتراجم الشخصية (Autobiographie)، الطوبونيميا (Toponymie) وعلم الأسماء (Onomastique)، والأنساب (Généalogie)، علوم اللغة كعلم الألسن (Linguistique)، وفقه اللغة (Philologie)، وعلم المفردات (Sémantique).

ثانيا. العلوم المساعدة على فهم وتفسير التاريخ: وهي المعارف التي تساهم في تقدم المنهجية التاريخية لكونها تساعد المؤرخ على فهم وتفسير الأحداث تفسيراً يتلاءم وأسبابها البعيدة ونتائجها الملموسة ومن أهم العلوم المفسرة للتاريخ:

- علم الجغرافية (Géographie): وهو علم يعرفنا بشروط البيئة ومواصفاتها ويساعدنا على تفسير الأحداث انطلاقاً من المسرح الطبيعي الذي حدثت فيه، ولهذا اعتبر الجغرافي دومانجون "التاريخ جغرافية الماضي إلى حد ما"، ويرى سينيوس "أن الجغرافية قد ارتبطت بالتاريخ ... ولم تعد في الواقع علماً مستقلاً بذاته"، ومن هذا المنطلق فلا يمكننا أثر البحر في حياة اليونان القديمة، كما أن الدارس للتاريخ يميز بسهولة أسس قيام الحضارات القديمة حول الأنهار...، هزائم نابليون وهتلر في روسيا ...
- علم الخرائط أو الكارتوغرافيا (Cartographie): يعتبر أحسن وسيلة مكتملة لإيضاح الظواهر التاريخية عن طريق استقراء الخرائط وتحليلها وتسجيل المعلومات التي تتضمنها...

- علم السكان أو الديمغرافيا (**Démographie**): يدرس التوزيع العددي والجغرافي للمجموعات البشرية والتغيرات التي طرأت عليها من زيادة أو نقص أو هجرة وارتحال، وهذا ما يجعل المؤرخ بحاجة إلى مناهج علم السكان التي تمكنه من تفسير وشرح العلاقات القائمة بين السكان وتطور الظاهرة البشرية.
- علم الاقتصاد (**Economie**): يتناول الحقائق الاقتصادية وتوزيع الثروات ومستويات المعيشة ونوعية وسائل الإنتاج وأسلوب العمل وأنماط الاستهلاك، فمثلا لا يمكن ربط الاحتلال الغربي لأفريقيا بغير الدافع الاقتصادي ...
- كذلك نجد مجموعة أخرى من العلوم التي تساعد المؤرخ في تفسير الظاهرة التاريخية مثل: العلوم السياسية والعلاقات الدولية والدراسات الجيوسياسية، الفلسفة (**Philosophie**) فهي توفر الرؤية الشاملة والفهم المنطقي والتفسير العقلي للظاهرة التاريخية، علم النفس (**Psychologie**) يعرفنا على طبيعة النفس البشرية ويجب مراعاتها في كثير من المواقف من خلال توصيف ومعرفة الحال في ظروف معينة، علم الاجتماع (**Sociologie**) ودراسته للتغيرات الاجتماعية والعادات والتقاليد عبر العصور، علم الأديان واللاهوت (**Théologie**) فلا يمكن فهم طبيعة الظاهرة التاريخية دون العودة إلى دراسة المعتقدات والشرائع والقوانين الدينية، علم اللغات (**Langues**) ونقصد بها اللغات الأجنبية للعودة إلى المصادر الأصلية، المعاجم اللغوية (**Lexigraphie**) التي تضم المصطلحات التاريخية كاليونانية، العربية، المصرية، ...، علم التوقيت أو الكرونولوجيا (**Chronologie**) لقياس أبعاد الوجود الإنساني والتحويل بين نظم التقويم (الهجري والغريغوري مثلا)، ...

مراجع حول الدرس:

- 1- قاسم يزبك: التاريخ ومنهج البحث التاريخي، ط. 1، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، 1990.

منهجية وتقنيات البحث التاريخي 1 د. بوقارة عبد الرحمان جامعة جيجل

2- وجيه كوثراني: تاريخ التأريخ اتجاهات-مدارس-مناهج، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط. 2، بيروت، لبنان، 2013

3- عبد الله العروي: مفهوم التاريخ، المركز العربي، ط. 4، الدار البيضاء، المغرب 2005.

4- ناصر الدين سعيدوني: أساسيات منهجية التاريخ، دار القصة للنشر، الجزائر، 2000

5- حسن عثمان: منهج البحث التاريخي، دار المعارف، ط. 8، القاهرة، 2000.

6- يزبك قاسم: التاريخ ومنهج البحث التاريخي، دار الفكر اللبناني، ط. 1، بيروت، لبنان، 1990.

7- جان كلود سوفاجيه: مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، تر. عبد الستار حلوجي وعبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة، د. ط، 1998.